University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد السادس عشر - ابريل 2017

أبو الوليد الباجي الأندلسي وآثاره الفقهية

د. عادل عبدالعزيز غيث الحسنوني.

(استاذ مساعد في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية الآداب والعلوم ــ المرج ـ جامعة بنغازي - ليبيا)

أبو الوليد الباجي الأندلسي وآثاره الفقهية

تمهيد :

ازدهرت الدراسات الفقهية على مذهب الإمام مالك أواخر عصر الخلافة في الأندلس خاصة إبان حكم الخليفة الحكم المستنصر (350–366هـ/961–976م)، والحاجب المنصور بن أبي عامر (366-399هـ/976–1008م) وبدايات عصر الطوائف حيث أقبل الناس على موطأ الإمام مالك يشرحونه ويفصلون معانيه فكثرت التصانيف والشروحات عليه، وانبرى في ذلك نخبة من الفقهاء أمثال ابن عبد البر وأبي الوليد الباجي، فلا يُذكر المذهب المالكي في الأندلس إلا ويُذكر هؤلاء الفقهاء كونهم شيوخ ذلك العصر في الفقه المالكي، ونتيجة للفتنة التي عمت الأندلس عقب سقوط الخلافة الأموية فقد لجأ نخبة من هؤلاء العلماء إلى شرق الأندلس قاصدين مملكة دانية والجزائر الشرقية ليعيشوا في كنف ملكها مجاهد العامري لما عُرف عنه من حب وتوقير للعلم وأهله، فألفوا في ظل سلطانه المؤلفات الفقهية الزاخرة والتي تدل على الموسوعية العلمية الباهرة لفقهاء ذلك العصر.

وللنهضة الفقهية الزاخرة التي شهدتها الأندلس خلال ذلك العصر فقد جاء موضوع البحث لتسليط الضوء على انجازات أحد أعلام النخبة للمدرسة المالكية الفقهية الأندلسية ألا وهو الإمام الفقيه المحدث أبو الوليد الباجي الأندلسي؛ وذلك بالبحث والتقصي عن بيئته العلمية التي عاش فيها وشيوخه ورحلاته العلمية شرق البلاد الإسلامية وغربها ولقائه للعلماء وأخذه عنهم الإجازات العلمية رواية وسماعا وأشهر طلابه وأهم مؤلفاته وآثاره الفقهية ، ومن ثم أثره وتأثيره في الأندلس وأخيرا وفاته وثناء علماء عصره وأقرانه ومن بعدهم من السلف عليه ، متبعا في ذلك المنهج التاريخي الوصفي السردي للوصول بالبحث إلى النتائج المرجوه منه إن شاءالله .

ب – أبو الوليد الباجي: (403–474هـ/1012–1081م)[1]:

هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي[2] التميمي الباجي القرطبي الأندلسي الفقيه المالكي الحافظ إمام المسلمين في عصره، والباجي بن باجة الأندلس[3] خلافاً لما ذهب

(1) عن ترجمته انظر: ابن ماكولا: الإكمال في رفع الارتياب، 1، ص468؛ ابن خاقان: قلائد العقيان، ص ص196–198؛ ابن بسام: الذخيرة، قسم1،2، ص ص80-88؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك، 2، ص ص347-352، ابن بشكوال: الصلة، 1، ص ص175-177؛ الأصبهاني: خريدة القصر، قسم المغرب والأندلس، 3، ص ص472، 473؛ الضبي: بغية الملتمس، ص ص302، 303؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، 3، ص ص393-400؛ الجزري: اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، 1980م، 1، ص103؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، 2، ص408؛ ابن عذاري: البيان المغرب، 1، ص ص404، 405؛ محمد بن عبدالله السبتي: إفادة النصيح بالتعريف بسند الجامع الصحيح، تحقيق: محمد الحبيب الخوجة، مطبعة الشركة التونسية، ص16؛ القاسم بن يوسف السبتي: مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق عبد الحفيظ منصور، تونس، بدون تاريخ، ص ص323-326؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، 3، ص ص1178-1183؛ الكتبي: فوات الوفيات، 2، ص64؛ السيوطي: طبقات الحفاظ، ص440 - طبقات المفسرين، ص13، 14؛ الداودي: طبقات المفسرين، 1، ص ص202-207؛ المقري: نفح الطيب،2، ص ص272-284؛ صديق بن حسن خان القنوجي: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الأخر والأول، المطبعة الهندية العربية، بدون مكان، 1963م، ص56؛ محمد باقر الموسوي، الأصبهاني: روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، تحقيق ناصر خسرو، دار الكتاب العربي، بيروت، 1971م، 4، ص83؛ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: فهرس الفهاري والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1982م، 1، ص212؛ محمد عابد الفاسي: فهرس مخطوطات خزانة القرويين، مطبوعات أفريقيا الشرق، الدر البيضاء، 1980م، 1، ص ص175، 176؛ عبدالله كنون أدب الفقهاء، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون مكان، ص ص57-59.

(2) التُجيْبي نسبة إلى تُجَيْب بنت ثوبان المذحجية زوجة أشرس بن شبيب بن السكون، وإليها ينسب بنو تجيب = ابن الجزري: اللباب في تهذيب الأنساب، 1، ص24.

(3) ابن بسام: الذخيرة، قسم2، 1، ص80؛ ياقوت: معجم الأدباء، 3، ص393؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، 2، ص409.

إليه اليافعي[4] والذهبي في أحد قوليه نقلاً عن ابن عساكر حيث قال: "إن أبا الوليد كان قد أتي من باجة القيروان تاجراً يختلف إلى الأندلس[5] ونسبته إلى باجة القيروان لا تصح لانفراد الذهبي بها، ونقل اليافعي عنه، إذ أن أصل أبائه من بطليوس ثم انتقلوا إلى مكان يدعى باجة بليدة – قرب أشبيلية، فنسب إليها، كما مر سابقاً ولعل ذلك بسبب الفتنة التي عمت الأندلس مما دفعهم كغيرهم من التنقل من مكان لأخر[6].

كان مولد الإمام أبي الوليد الباجي يوم الثلاثاء في النصف من ذي القعدة سنة (403هـ/1012م) بمدينة بطليوس[7] وفي ذلك يقول أبو علي الغساني فيما ينقله عنه ابن بشكوال: "سمعت أبا الوليد يقول مولدي في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة"[8].

نشأ الإمام أبو الوليد في بيت علم وصلاح، وفي ذلك يقول القاضي عياض: "وكان له إخوة جلة نبلاء وبيته بيت علم ونباهة"[9] فأبوه خلف كان رجلاً متديناً محباً للعلم وصفه الإمام أبو الوليد في وصيته لولديه بقوله: "وكان أوفر الصلاح والتدين والتورع والتعبد في جدكم خلف، كان مع جاهه وحاله، واتساع دنياه منقبضاً عنها متنقلاً منها، قد أقبل على العبادة والاعتكاف إلى أن توفى رحمه الله"[10].

استقر والد أبي الوليد الباجي في قرطبة ولازم الفقيه أبا بكر محمد بن موهوب القبري، وحصل بينهما تعارف فزوجه الفقيه القبري ابنته وكانت فقيهة صالحة قال عنها ابن غزلون الأموي عند حديثه عن مولد الإمام أبي الوليد: "رأيت مولده بخط أمه وكانت فقيهة"[11] بيد أن هذه المصادر لم تذكر اسم هذه الزوجة ولا تاريخ ميلادها ووفاتها، واكتفت بالقول أنها كانت حية سنة (439هـ/ 1047م) وذلك من خلال كلام الباجي نفسه أنَّ أمَّه ألحّت عليه بالعودة في رسالة بعثتها إليه وهو في حلب قائلاً: "إلى أن استدعاني إلى المغرب من كان بها من الوالدة والأخوة والأهل، فخرجت منها في صدر تسع وثلاثين وأربعمائة"[12]، ولاشك أنه تأثر بأمه الفقيهة التي لم يكن للأندلسيين آنذاك أن يصفوها بالفقيهة لو لم تكن كذلك، فكانت أمه بحق هي المدرسة الأولى التي نهل منها العلم منذ نعومة أظفاره فنشأ محباً للعلم ومن شَبَّ على شي شاب عليه.

وأما عن أخوته وأعمامه فقد أجملهم أبو الوليد كذلك في وصيته لولديه مبيناً فضلهم وأنهم أهل دين وصلاح بقوله: "وأعلما أننا أهل بيت لم نخل بفضل الله من صلاح وتدين وعفاف وتصاون، فكان بنو أيوب بن وارث عفا الله عنا وعنهم أجمعين: جدنا سعد، ثم كان بنو سعد: سليمان وخلف وعبد الرحمن وأحمد، ثم كان بنو خلف عمَّاكما: علي وعمر وأبوكما سليمان، وعمّاكما: محمد وإبراهيم، فلم يكن في أعمامكما إلا مشهور بالحج والجهاد والصلاح والعفاف، حتى تُوفّوا على ذلك عفا الله عنا وعنهم"[13].

---

(4) القاضي عياض: ترتيب المدارك، 2، ص348.
(5) مرآة الجنان: 3، ص109.
(6) تذكرة الحفاظ، 3، ص1182.
(7) ابن بشكوال: الصلة، 1، ص177؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك، 2، ص348؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 5، ص114؛ السيوطي: طبقات المفسرين، ص14؛ الداودي: طبقات المفسرين، 1، ص202؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ص120؛ المقري: نفح الطيب، 2، ص281؛ عبدالله مصطفى المراغي: الفتح المبين في طبقات الأصوليين، دار الكتب العلميه، ط2، بيروت، 1974م، 1، ص252.
(8) ابن بشكوال: نفسه، 1، ص177.
(9) ترتيب المدارك، 2، ص349.
(10) ابن خاقان: قلائد العقبان، ص197؛ مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد 3، مدريد، 1955م، 1، ص11.
(11) عبد القادر بدران: تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر، دار المسيرة، ط2، بيروت، 1979م، 6، ص251.
(12) عبدالله محمد بن علي الأزرق: روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام، مخطوط بالخزانة الحسينية بالرباط تحت رقم 2568، ورقة 104.
(13) مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد 3، 1، ص31.

نستخلص من هذا النص أن أباه كان ثاني أربعة أخوة ألا وهو خلف، وكان هو أي سليمان أوسط خمسة ذكور لأن قصد الترتيب واضح من كلامه، واكتفى آخر كلامه عنهم بإجمالهم بصفات الحج والجهاد والتدين دون أن يذكر ما لكل منهم من صفة مشهور بها من بين هذه الصفات.

وأما عن أولاده فله من الولد اثنان هما: أبو القاسم أحمد بن سليمان[14]، وأبو الحسن محمد بن سليمان الذي قال عنه القاضي عياض: "كان نبيلاً ذكياً مرجوّاً"[15]، وتوفى أبو الحسن في حياة أبيه بسرقسطة سنة (472هـ/1079م) [16]، وقد رثاه أبوه بقوله:

أمحمداً إن كنت بعدك صابراً ... صبر السليم لما به لا يسلم

وَرُزِئْتَ قبلك بالنبي محمد ... ولَرزْؤُه أدهى لدىّ وأعظم

فلقد علمت بأنني بك لا حق ... من بعد ظني أنني متقدم

لله ذكر لا يزال بخاطري ... متصرف في صبره متحكم

فإذا نظرت فشخصه متخيل ... وإذا أصخت فصوته متوهم

وبكل أرض لي من أجلك لوعة ... وبكل قبر وقفة وتلوّم

فإذا دعوت سواك حاد عن اسمه ... ودعاك باسمك معول بك مغرم

حكم الردى ومناهج قد سنها ... لأولى النهي والحزن قبل مُتمم[17]

- طلبه للعلم وأشهر شيوخه في الأندلس:

نشأ أبو الوليد الباجي في بيئة علمية بين أحضان والدته الفقيهة وخاله أبي شاكر عبد الواحد بن موهوب وغيره من شيوخ الأندلس، ينتقل من مدينة لأخرى للأخذ عنهم، ولما حصل على ما يكفيه من علوم اللغة العربية والآداب والفنون مال إلى علوم القرآن والتفسير والحديث والفقه والأصول والكلام، فكان أشهر من أخذ عنهم الإمام الباجي العلم في الأندلس قبل رحلته للمشرق:

1– أحمد بن محمد الغافقي السرقسطي؛ يُكنى بأبي عمر[18]، أخذ عنه أبو الوليد الباجي كتاب الواضحة في الفقه المالكي لعبد الملك بن حبيب[19].

---

(14) سأفرد له ترجمة ضمن الحديث عن أشهر تلاميذ أبيه.
(15) ترتيب المدارك، 8، ص126.
(16) ابن بشكوال: الصلة، 2، ص432.
(17) ابن خاقان: قلائد العقيان، ص196؛ ابن بسام: الذخيرة، القسم 2، 1، ص85؛ المقرى: نفح الطيب، 2، ص281.
(18) المراكشي: الذيل والتكملة، 1، ص532.
(19) ابن الآبار: التكملة، 1، ص42.

2– **خلف بن أحمد بن خلف الأنصاري الرهوني الطليطلي الرحوي**؛ يكنى بأبي بكر، أخذ عنه أبو الوليد الباجي الفقه في طليطلة، توفى سنة (420هـ/ 1029م)[20].

3– **خلف الجعفري**؛ يكنى بأبي سعيد، أخذ عنه الباجي علوم القرآن، وأجاز للباجي كتب أبي جعفر النحاس في علوم القرآن وهي: ناسخ القرآن ومنسوخه، وإعراب القرآن، والعالم والمتعلم في معاني القرآن، توفى سنة (425هـ/1033م)[21].

4– **عبد الواحد بن محمد بن موهب التجيبي القبري**؛ يكنى بأبي شاكر خال أبي الوليد الباجي، وهو من أهل العلم بالحديث والفقه والعربية والكلام، أخذ عنه أبو الوليد العلم في قرطبة ولازمه منذ نعومة أظفاره، توفى سنة (456هـ/ 1063م)[22].

5– **عيسى بن خلف بن عيسى بن أبي درهم الوقشي**؛ يكنى بأبي الأصبغ، أجاز لأبي الوليد الباجي بوشقة كتاب: عِشْرَةُ يحيى بن يحيى الليثي، وكتاب: المجالس لأصبغ بن الفرج، وكثير من مروياته[23].

6- **مكي بن أبي طالب القيسي المالكي** يكنى بأبي محمد؛ عالم الأندلس في القراءات، راوية مقرئاً أديباً متفنناً، ألف ما يربو على تسعين كتاباً في علوم القرآن منها: الكشف عن وجوه القراءات السبع، مشكل إعراب القرآن، الإبانه عن معاني القرآن، وقد روى عنه أبو الوليد الباجي كثيراً من كتبه توفي سنة (437هـ/1045م)[24].

- رحلته للمشرق: (426-439هـ/1034-1047م):

بعد أن استفاد الإمام أبو الوليد الباجي من التردد على كبار الشيوخ والعلماء بالأندلس، وعلم ما للترحل بين أمصار بلده من مزايا في التلقي على أكثر من واحد من العلماء، قرر الرحلة إلى المشرق أسوة بغيره ممن سبقه من طلاب العلم وذلك لارتشاف العلم من ينابيعه وللقاء كبار العلماء في مصر ومكة وبغداد والشام، وكان عمره وقتذاك ثلاثاً وعشرين سنة[25]، وفي هذا الموقف الرهيب والحاسم من حياته وهو يشد الرحال للسفر، أنشد أبو الوليد أبياتاً من الشعر يقول فيها :

ليس عندي شخص النوى بعظيم فيه غمٌّ وفيه كشف غموم

إن فيه اعتناقة لوداع وانتظار اعتناقة لقدوم[26]

1 – مصر:

كانت مصر أولى محطات الإمام أبي الوليد الباجي شأنه في ذلك شأن من سبقه من طلاب العلم الأندلسيين، وذكرت المصادر أنه التقى فيها بالفقيه المالكي أبي محمد عبدالله بن الوليد بن سعد الأنصاري الأندلسي نزيل مصر، روى عنه أبو اليد الباجي كتب أبي جعفر النحاس في علوم القرآن، كما روى عنه رسالة الإمام مالك لعبد الله بن وهب في الرد على القدرية[27]، فقال عنه ابن بشكوال في

(20) الضبي: بغية الملتمس، ص294؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ص183.
(21) ابن خير الإشبيلي: الفهرست، صص 65-66.
(22) الحميدي: جذوة المقتبس، ص420؛ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 1، ص230؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، 3، ص238.
(23) ابن بشكوال: الصلة، 2، ص348؛ ابن سعيد: نفسه، 2، ص460.
(24) الذهبي: القراء الكبار، 1، ص316؛ اليافعي: مرآة الجنان، 3، ص53؛ ابن الجزري: غاية النهاية، 2، ص 309.
(25) القاضي عياض: ترتيب المدارك، 2، ص347.
(26) ياقوت: معجم الأدباء، 3، ص1389.
(27) الذهبي: العبر، 3، ص216؛ اليافعي: مرآة الجنان، 3، ص66؛ الحنبلي: شذرات الذهب، 3، ص288.

صلته: "كان ثقة فيما رواه، ثبتاً ديناً فاضلاً، حافظاً للرأي مالكي المذهب خرج من مصر إلى الشام سنة سبع وأربعين وأربعمائة، وتوفي فيها في رمضان سنة ثمان وأربعين وأربعمائة"[28].

2 – مكـة :

اتجه الإمام الباجي من مصر إلى مكة المكرمة إلا أن المصادر لم تذكر السنة التي خرج فيها من مصـر إلى مكة إلا أنها ذكرت أنه بقى في مكة أزيد من ثلاث سـنوات حج فيها أربع مرات والتقى بثلة من العلماء فيها نترجم لهم على النحو الآتي:

- **عبد بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن غفير، الشهير بأبي ذر الهروي المالكي الأشعري الحافظ**[29]، أصله من هراة أحدى قرى أصبهان[30]، قال عنه القاضي عياض: "نزل مكة وجاور بها أزيد من ثلاثين سنة"[31]، إمام ثقة ناشرٌ للعلم، له مصنفات جليلة في الحديث وعلومه، التقى به الباجي في مكة ولازمه أكثر من ثلاث سنوات، وكان الباجي يخدمه طيلة هذه المدة وذكره في جملة شيوخه الذين أخذ عنهم، وروى عنه كتاب الجامع الصحيح للبخاري وغيره من الكتب، توفى الإمام أبو ذر بمكة في ذي القعدة سنة (434هـ/1042م)[32].
- **محمد بن سعيد بن سختويه الأسفرائيني**، يكنى بأبي بكر وروى عنه أبو الوليد الباجي مؤلفات عدة منها: "أسامي من روى عنهم البخاري"[33].
- **محمد بن علي بن أحمد بن محمود الوراق**، يكنى بأبي عبدالله، التقى به أبو الوليد الباجي بمكة وروى عنه[34].

3 – بغداد:

قصد أبو الوليد الباجي العراق بعد مكة واستقر بمدينة بغداد وذلك سنة (434هـ/1043م)، ومكث فيها ثلاثة أعوام يدرس العقيدة والحديث والفقه على يد الحفاظ والأئمة الأعلام الذين تزخر بهم مدينة العلم بغداد[35]، ومن هؤلاء الحفاظ والأئمة الذين التقى بهم الباجي في بغداد:

- **إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الشافعي**، يكنى بأبي إسحاق[36]، أخذ عنه أبو الوليد ببغداد علم أصول الفقه والجدل، وكثيراً ما ينقل عنه الباجي في كتبه: المنهاج في ترتيب الحجاج، وأحكام الفصول في أحكام الأصول، والمنتقى في شرح الموطأ، حيث يقول: "ذكر شيخنا أبو إسحاق الشيرازي، وعلى ما ذكره شيخنا أبو إسحاق "وغير ذلك من العبارات التي تدل على تلقي أبي الوليد الباجي من شيخه الشيرازي، توفى سنة (476هـ/ 1083م)[37].

---

(28) الصلة: 1، ص232.
(29) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، 11، ص141؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، 37، ص390؛ ابن ماكولا: الإكمال، 3، ص334؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، 3، ص1103.
(30) ياقوت: معجم البلدان، 1، ص53.
(31) عياض: ترتيب المدارك، 2، ص276.
(32) السبتي: إفادة النصيح، ص45.
(33) عياض: الغنية، ص134
(34) عياض: الغنية، ص134.
(35) عياض: ترتيب المدارك، 2، ص348.
(36) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 8، ص432؛ الجزري: اللباب في تهذيب الأنساب، 2، ص451؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، 1، ص29؛ أبوبكر بن هداية الله الحسيني: طبقات الشافعية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ، ص170؛ الحنبلي: شذرات الذهب، 3، ص349؛ اليافعي: مرآة الجنان، 3، ص110.
(37) عياض: ترتيب المدارك، 2، ص348.

- **إبراهيم بن عمر بن أحمد بن إبراهيم بن بهران البرمكي البغدادي الحنبلي**، يكنى بأبي إسحاق، التقى به أبو الوليد ببغداد وروى عنه، توفى سنة (441هـ/1049م)[38].
- **أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد المعروف بأبي بكر الخطيب البغدادي الشافعي حافظ المشرق، والمحدث الكبير**[39]، صنّف ما يقرب من ستة وخمسين مصنفاً في مختلف علوم الحديث، ومن مصنفاته: تاريخ بغداد، والكفاية في علم الرواية، والرحلة في طلب الحديث، والفقيه والمتفقه، واقتضاء العلم بالعمل[40]، قال عنه القاسمي: "أن المحدثين بعده عيال على كتبه"[41]، سمع منه أبو الوليد الباجي كثيراً من مصنفاته ومروياته منها: الفصل للوصل المدرج في النقل، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، وتقييد العلم، وشرف أصحاب الحديث، توفى الخطيب البغدادي سنة (463هـ/1070م)[42].
- **محمد بن عبيد الله بن أحمد بن عمروس**، يكنى بأبي الفضل أمام المالكية ببغداد، أخذ عنه أبو الوليد الباجي الفقه وروى عنه مؤلفات القاضي عبد الوهاب المالكي ومنها: الإشراف في مسائل الخلاف، وشرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، والمعونة لدرس مذهب عالم المدينة، والملخّص في أصول الفقه، توفى أبو الفضل سنة (452هـ/1060م)[43].
- **محمد بن علي بن عبدالله الصوري الحافظ**، يكنى بأبي عبدالله[44]، روى عنه الباجي كتاب الاستدراك للدارقطني[45]، وقال الباجي عنه: "الصورى أحفظ من رأيناه"[46]، وقال عنه أيضاً: "لزمت الصوري ثلاثة أعوام فما رأيته تعرض للفتوى"[47]، توفى الصوري سنة (441هـ/1049م)[48].
- **محمد بن علي بن الفتح الحربي البغدادي**، يكنى بأبي طالب العشاري، روى عنه الباجي كتاب: الأفراد والغرائب للدارقطني، توفى سنة (451هـ/ 1059م)[49].
- **عبدالله بن أبي الفتح الصيرفي الأزهري الدّمثائي البغدادي**، يكنى بأبي القاسم، قال عنه الخطيب البغدادي: "كان أحد المكثرين من الحديث كتابة وسماعاً، ومن المعنيين به والجامعين له مع صدق وأمانة وصحة واستقامة"[50]، وقد ذكره الباجي من ضمن شيوخه الذين حدث عنهم، توفى سنة (435هـ/1043م)[51].

---

(38) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، 6ص139؛ الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص174.
(39) ياقوت: معجم الأدباء، 1، ص120؛ ابن عساكر: تبيين كذب المفتري، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، 1979م، ص268؛ الجزري: اللباب، 1، ص453؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، 2، ص187؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، 1، ص564؛ السبكي: طبقات الشافعية، 3، ص12.
(40) الذهبي: تذكرة الحفاظ، 3، ص1139.
(41) محمد جمال الدين القاسمي: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، 1979م، ص41.
(42) الأشبيلي: الفهرست، ص ص260-261.
(43) الصفدي: الوافي بالوفيات، 4، ص8؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ص273؛ مخلوف: شجرة النور الزكية، 1، ص105.
(44) البغدادي: تاريخ بغداد، 3، ص103؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، 3، ص197.
(45) الأشبيلي: الفهرست، ص204.
(46) الذهبي: تذكرة الحفاظ، 3، ص1115.
(47) نفسه، 3، ص1116.
(48) البغدادي: نفسه، 3، ص103.
(49) نفسه: 3، ص107.
(50) البغدادي: تاريخ بغداد، 10، ص385.
(51) الذهبي: العبر، 3، ص183؛ ابن الجزري: غاية النهاية، 1، ص485.

– **عبد الواحد بن علي بن عمر بن برهان العكبري الأسـدي النحوي**، يكنى بأبي القاسـم[52]، قال عنه الباجي: "أخذت عن الشـيخ أبي القاسـم عبد الواحد بن برهان، وكان واحد بغداد في العربية"[53]، توفى سنة (456هـ/1063م)[54].

4 – الموصل :

انتقل أبو الوليد الباجي من بغداد إلى الموصـل للقاء فقيه الموصـل محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد السـمناني الأشـعري الحنفي، وهو من كبار فقهاء المذهب الحنفي، يكنى بأبي جعفر، أقام معه أبو الوليد الباجي قرابة العام يَدْرُس الفقه والعقيدة والأصـول، فأخذ عنه الباجي جُلّ كتبه وأدخلها معه إلى الأندلس، توفى السمناني سنة (444هـ/1052م)[55].

5 – الشـام :

دخلها أبو الوليد الباجي عقب خروجه من الموصل وذلك أواخر عام (437هـ/1045م) وقصد مدينة حلب، وكان قد غلب على أهلها التشيع فدارت بين الباجي وعلماء الشيعة فيها مناظرات أفحم فيها الباجي خصومه الشيعة فعلا ذكره في الناس، وانتشر مذهب أهل السنة في حلب وقربه صاحبها الأمير معز الدولة إليه، فمكث في حلب قرابة السنتين يدرس الحديث والفقه المالكي، وكان يحضر مجلسه الجم الغفير من الناس، وفي ذلك يقول أبو الوليد الباجي: "ورغب إليّ أهل العلم في المقام بها وقالوا لي: أنت مستقبل الشتاء وليس بوقت سفر، وأنت تقيم بصور أو غيرها إلى وقت السفر، فاجعل مقامك عندنا، وظهر من قلق المتشيعين فيها ما شاع، وبلغ السيدة بنت ابن رباب وكانت من أهل السنة وقصدت مجلسي وبلغ الأمر زوجها الأمير معز الدولة ثمال بن أبي علوان بن صالح الكلابي صاحب حلب في ذلك الوقت، وكان قد أفسد مذهبه معلم شيعي قرأ عليه، فكانت زوجته السيدة بنت رباب تصرفه عن ذلك فلا تقدر عليه فوجدت السبيل بي إليه، ورغب في أن يلقاني فلقيته مراراً، وانصرف عن ذلك الرأي الفاسد على ما أظهر، وكلمت بين يديه المخالفين وبلغ به الميل إلى ضرب بعض الشيعة المتعصبين وأخرجهم من البلد وظهرت كلمة السنة، وقعدت لإقراء كتاب البخاري، وحضرت السيدة بنت رباب قراءته جميعه، وحضر الجم الغفير من الناس بعد مناظرتهم لي، وأنِسُوا بما فيه من فضائل الصحابة، وبقيت عندهم بقية عام سبعة وثلاثين وعام ثمانية وثلاثين، وقد قرأ على جماعة من أهل تلك الجهة وفشت فيهم السنة، وكانت الفتوى فيها على مذهب مالك رحمه الله مدة مقامي بها، إلى أن استدعاني إلى المغرب من كان بها من الوالدة والأخوة والأهل، فخرجت منها في صدر تسع وثلاثين وأربعمائة"[56].

وكان أبو الوليد الباجي أثناء إقامته في حلب قد التقى بعض الشيوخ والعلماء فأخذ عنهم العلم والفقه ومن أبرزهم:

– **عبدالرحمن بن عبد العزيز بن السراج الحلبي**، يكنى بأبي القاسم، لقيه أبو الوليد الباجي بحلب وأخذ عنه الفقه[57].

(52) السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ص317؛ الحنبلي: شذرات الذهب، 3، ص297.
(53) الأزرق: روضة الناظر، ورقة 103.
(54) الكتبي: فوات الوافيات، 2، ص414.
(55) عياض: ترتيب المدارك، 2، ص348.
(56) الأزرق: روضة الأعلام، ورقة رقم 102، 103.
(57) الذهبي: تذكرة الحفاظ، 3، ص1179.

- **علي بن موسى بن الحسين بن السمسار**، يكنى بأبي الحسن، مُسند دمشق في وقته، حدَّث بصحيح البخاري عن أبي زيد المروزي وله سماعات عاليه[58]، أخذ عنه أبو الوليد الباجي إلا أنه قال فيه: "أبو الحسن بن السمسار شيخ فيه تشيع وتشيعه يتجاوز به حد الرفض"[59].

هؤلاء هم شيوخ الإمام أبي الوليد المحدث الحافظ الذي جند نفسه لسماع الحديث وكتابته وجمعه وشرحه، وارتحل في طلبه إلى مصر والحجاز والعراق والشام فضلاً عن مدن الأندلس، يُنقّب عن مراكز الثقافة والعلم والعلماء شرقاً وغرباً، فيأخذ العلم من ذوي الكفاءة، ويشتغل بالحديث رواية ودراية ويطّلع على كثير من تراجم الرواة، فَعَلِم وعلَّم وَعَمِلَ بما عَلِمَ بقريحة فذة وطموح نادر، فأصبح يتمتع بثقافة موسوعية قل نظيرها، غير مقتصر على السماع وحسب، بل يكتب ويؤلف ويجلس لتدريس الحديث، ويجادل ويناظر دفاعاً عن السنة النبوية، زد على ذلك معرفته بالأسانيد جرحاً وتعديلاً، وتمييزه للأحاديث صحيحها من سقيمها ينقحها ويستنبط الأحكام الشرعية منها على اختلاف المحدثين والفقهاء والأصوليين فيها.

لقد كان الإمام أبو الوليد الباجي طيلة رحلته العلمية إلى المشرق الإسلامي يعيش من كسب يده، ففي مكة خدم أسرة أبي ذر الهروي أكثر من ثلاث سنوات مقابل أجر يسير يعيش منه، وفي بغداد اشتغل بحراسة إحدى دروبها ليلاً يستعين بضوء مصابيح الحراس للمطالعة مقابل أجر يسير يكفيه قوت يومه[60]، وفي الموصل احتفى به قاضيها أبو جعفر السمناني عندما رأى منه الذكاء والفطنة ودقة الفهم، ولم يكن حاله بحلب أقل منه بالموصل، فبعد أن عرف حالة أمير حلب معز الدولة قربه منه وأوكل إليه الإفتاء فعاش معززاً مكرماً[61].

رجع أبو الوليد الباجي إلى الأندلس بعد إلحاح أمه وأخوته عليه بالعودة إلى الديار، فخرج من حلب مستهل سنة (439هـ/1057م)، وقدم الأندلس بعلم كثير من نفس العام، فوجد الطوائف شيعاً مختلفة متنازعة، يتربص بهم العدو الدوائر، فصمم العزم على توحيد كلمتهم ولم شملهم، فمشى بين ملوكها لعله يلقى أذاناً مصغيةً وقلوباً واعية يدفعه في ذلك دينه وواجبه تجاه بلاده الأندلس، يحثهم على توحيد صفوفهم والوقوف في وجه عدوهم، وقد وصف موقف الباجي هذا المقرى بقوله: "ولما قدم الباجي من المشرق إلى الأندلس بعد ثلاثة عشر عاماً وجد ملوك الطوائف أحزاباً متفرقة، فمشى بينهم في الصلح وهم يُجلُّونه في الظاهر ويستثقلونه في الباطن ويستبردون نزعته، ولم يفد شيئاً، فالله تعالى يجازيه عن نيته"[62]، كما وصف ابن بسام الباجي في مساعيه بين الطوائف بمؤمن آل فرعون[63]، كل ذلك لبيان مدى حرص الباجي وخوفه على دينه ووطنه، فعلا بذلك ذكره في الأندلس فقربه أمراء ورؤساء الطوائف وعظّموا مكانه حتى أن المقتدر بن هود صاحب سرقسطة كان يفخر بوجوده في بلاطه على غيره من ملوك الطوائف، وفي ذلك يقول ابن خاقان: "فتهادته الدول"[64] أي أن كل واحد من ملوك الطوائف كان يسعى إلى أن يكون الإمام الباجي مفخرة بلاطه لما له من مكانة عظيمة بين العلماء وطلبة العلم في كل أرجاء الأندلس.

انتقل الباجي من سرقسطه إلى شرق الأندلس متنقلاً بين بلنسية ودانية ومرسيه[65]، إلا أنه أكثر المقام في دانية والجزائر الشرقية لما لقيه من حفاوة من سيدها على إقبال الدولة العامري والذي قلده أمر

---

(58) الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، 5، ص192.
(59) البغدادي: تاريخ دمشق، 43، ص256.
(60) ابن بسام: الذخيرة، قسم 2، 1، ص81؛ المقرى: نفح الطيب، 2، ص273؛ أنخل بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص425.
(61) ابن فرحون: الديباج المذهب، ص120؛ المقري: نفسه، 2، ص274.
(62) نفح الطيب، 2، ص77.
(63) الذخيرة: القسم 2، 1، ص81.
(64) قلائد العفيان، ص197.
(65) عياض : ترتيب المدارك ، 2ص349

القضاء وجعله من خاصته وأهل مشورته كما مر سابقا، أضف إلى ذلك إلحاح فقهاء المالكية عليه في جزيرة ميورقة بالبقاء والاستعانة به في النيل من خصمهم اللدود ابن حزم الظاهري، فدارت بين الباجي وابن حزم مناظرات فقهية كانت الغلبة فيها للباجي وانتهت بخروج ابن حزم من ميورقة كما سيتضح بالتفصيل في موضعه(66).

- مصنفاته الفقهية وتلاميذه:

ساهم الإمام أبو الوليد الباجي بدور عظيم في ازدهار الدراسات الفقهية في مملكة دانية والجزائر الشرقية وذاع صيته فيها، وقصده الطلاب من كافة أصقاع الأندلس، وعلى الرغم من انشغاله بالمساعي الحميدة بين ملوك الطوائف لتوحيد الصفوف ضد أعدائهم، وكثرة مجالسه ومناظراته العلمية بين كبار علماء عصره كابن حزم، وارتباطه بمهام التدريس والتعليم إلا أن ذلك لم يثنه عن التأليف والتصنيف في مختلف العلوم الدينية، فكان للفقه وأصوله النصيب الأوفر من هذه المصنفات جاءت على النحو الأتي:

1– إحكام الفصول في أحكام الأصول(67):

وهو كتاب قيم في مجاله فيما يتعلق بأصول المذهب المالكي، ويعد من أوائل كتب أصول الفقه المالكي ومن المصادر المهمة التي اعتمدها من جاء بعده من الأصوليين في مختلف العصور كالقرافي والونشريسي وغيرهم.

2– الحدود في أصول الفقه(68):

وهو كتاب يضم مجموعة من التعريفات بالمصطلحات المستخدمة عند علماء أصول الفقه ثم يتعرض لها بالشرح والبيان، وأحيانا ينقل بعض تعريفات شيوخه أو أصحابه ويتناولها بالنقد العلمي السليم دون أي تعصب مذهبي.

3– فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام(69):

الكتاب يتعلق بالأحكام التي يرجع إليها القاضي في التطبيق، كما أنه يتعلق بالقضاء والشهادات واليمين وإجراءات التداعي.

4– المنتقى في شرح موطأ مالك(70):

وهو اختصار لكتاب الاستيفاء للمؤلف نفسه ليكون أقرب للفهم لكل طالب علم، شرح فيه الباجي أحاديث موطأ مالك وقام بتفريغ المسائل الفقهية عليها سالكاً مذهب الاجتهاد وإقامة الحجة، ويعد المنتقى من أنفس الكتب التي ألفت في فقه المذهب المالكي.

5– الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معرفة الدليل(71):

وهو اختصار لكتاب: إحكام الفصول في أحكام الأصول، والكتاب على اختصاره وصغر حجمه فإنه مستوعب لمسائل أصولية نفيسة مفيدة للمبتدئ فيما يتعلق بأصول المذهب المالكي، حيث أشار فيه

---

(66) لطفي عبد البديع: الإسلام في أسبانيا، ص43؛ حسين مؤنس: شيوخ العصر، ص87.
C. van , ARENDONK : Art Ibn Hazm dans , E1 , P1 , 2.

(67) طبع بدار الغرب الإسلامي، بيروت، حققه وقدم له ووضع فهارسه الدكتور عبد المجيد تركي، الطبعة الأولى، 1986م.

(68) كتاب مطبوع بتحقيق الدكتور نزيه حماد، منشورات مؤسسة الزعبي للطباعة والنشر، بيروت، 1973م.

(69) طبع الكتاب بأمر من الملك الحسن الثاني وبعناية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دراسة وتحقيق الأستاذة الباتول بن علي، المغرب، 1410هـ.

(70) طبع بدار الكتب العلمية ببيروت، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، 1999م، ويتكون من تسعة أجزاء، وله طبعة قديمة في سبع مجلدات على نفقة السلطان عبد الحفيظ العلوي، نشرته مطبعة السعادة بمصر سنة 1331هـ/1913م.

(71) طبع بدار البشائر الإسلامية، قدم له وعلق عليه وحققه محمد علي فركوس، الطبعة الأولى، الجزائر، 1991م، ويقع الكتاب في مجلد واحد.

مؤلفه إلى أهم المسائل الأصولية، إشارة موجزة ومختصرة كما هو ظاهر من عنوان الكتاب، فبدأ المصنف بتعريف الاصطلاحات الأصولية المالكية على نحو ما هو موجود في كتابه: "الحدود في أصول الفقه"، مستدلاً بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع، ومشيراً إلى جملة من كلام العلماء الأفذاذ من أئمة المالكية أمثال أبي إسحاق إسماعيل الجهضي الأزدي البصري المتوفي سنة (282هـ)، وأبي بكر الأبهري المتوفي سنة (375هـ)، وأبي الحسن على بن عمر المعروف بابن القصار الشيرازي المتوفي سنة (398هـ)، وأبي بكر الباقلاني المتوفي سنة (403هـ) وغيرهم كثير.

كما توجد للإمام الباجي مصنفات أخرى في الفقه وأصوله بعضها أحال إليها الباجي في بعض كتبه الفقهية، والبعض الآخر جاء ذكرها في كتب التراجم والطبقات وعُدّت في حكم المفقود؛ نوردها على النحو الأتي:

1 – الاستيفاء شرح الموطأ[72].

2 – الإيماء مختصر المنتقى[73].

3 – السراج في عمل الحجاج[74].

4 – شرح المدونة[75].

5 – فرق الفقهاء[76].

6 – مختصر المدونة[77].

7 – المقتبس في علم مالك بن أنس[78].

8 – المهذب في اختصار المدونة[79].

9 – الناسخ والمنسوخ في الأصول[80].

لقد تسابق طلاب العلم من شرق البلاد الإسلامية وغربها وتنافسوا في الأخذ عن الإمام أبي الوليد الباجي، فتوافدوا عليه من أبعد الأقاليم فضلاً عن أدناها داخل بلده وخارجها، كما أن تنقلاته المتعددة بين حواضر الأندلس سهلت للعديد من طلاب العلم الأخذ والرواية عنه، فتخرج على يديه نخبة من العلماء والحفاظ في الفقه والأصول والحديث والعقيدة والتفسير ممن انتفعوا بعلمه وتأثروا به، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

1 – **إبراهيم بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي الباجي القرطبي** أخو أبي الوليد الباجي، سكن معه ميورقة وأخذ عنه العلم[81].

---

(72) الباجي: المنتقى، 1، ص ص201-202؛ عياض: ترتيب المدارك، 2، ص350.
(73) الحموي: معجم الأدباء، 3، ص1388؛ الذهبي: السير، 18، ص538؛ ابن فرحون: الديباج، ص121.
(74) عياض: ترتيب المدارك، 2، ص350؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، 3، ص1180.
(75) الداودي: طبقات المفسرين، 1، ص210؛ ابن فرحون: الديباج، ص122.
(76) ابن الآبار: التكملة، 1، ص181؛ السبتي: مستفاد الرحلة والاغتراب، ص323؛ المقري: نفح الطيب، 2، ص275.
(77) الكتبي: فوات الوفيات، 2، ص64؛ مخلوف: شجرة النور الزكية، 1، ص121.
(78) عياض: ترتيب المدارك، 2، ص360؛ ابن فرحون: الديباج، ص122.
(79) الحموي: معجم الأدباء، 3، ص1388؛ الداودي: المفسرين، 1، ص210.
(80) عياض: ترتيب المدارك، 2، ص350؛ ابن فرحون: الديباج، ص122.
(81) ابن الآبار: التكملة، 1، ص138.

2 – **أبو القاسم أحمد بن سليمان بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي ابن الإمام الباجي** أخذ عن والده، توفى سنة (493هـ/1099م)[82].

3 – **أبو علي الحسين بن أحمد الغساني الجياني الأندلسي**، أخذ عن الباجي وابن عبدالبر وغيرهم، وعنه أخذ القاضي عياض وابن فرحون، برع في الحديث وعلوم اللغة والأنساب، توفى سنة (498هـ/1104م)[83].

4 – أبو علي حسين بن محمد بن فيرة بن سكرة الضَّدقي السرقسطي المعروف بابن أبي سكرة، أخذ عن الباجي بسرقسطة، واشتهر برواية الحديث ومعرفة طرقه ورجاله، قتل في موقعة قُتَنْدَة[84] قرب سرقسطة سنة (514هـ/1120م) [85].

5 – أبوبكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان الطرطوشي ويعرف بابن أبي رَنْدَقة، التقى بأبي الوليد الباجي في سرقسطة وأخذ عنه الفقه، كان عالماً بالفقه ومسائل الخلاف والأصول والفرائض والآداب توفي بالإسكندرية سنة (520هـ/1126م)[86].

6 – أبو جعفر أحمد بن علي بن غزلون التطيلي، وهو من كبار أصحاب الإمام الباجي، توفى سنة (520هـ/1126م)[87].

7– أبو عبدالله محمد بن أبي نصر بن فتوح بن عبدالله الحميدي الميورقي، روى عن ابن حزم وابن عبد البر وأبي الوليد الباجي قبل رحلته للمشرق[88].

8 – أبو القاسم خلف بن سليمان بن خلف بن فتحون الأوريولي، أخذ الفقه عن الإمام الباجي في دانية، تولى القضاء في شاطبة ثم دانية، وكان أديباً شاعراً فاضلاً، توفى سنة (505هـ/1111م)[89].

9- **أبو محمد عبدالله بن إبراهيم بن جماح الكتاني السبتي**، كان عالماً بالفقه والتوحيد، وكثيراً ما كان الباجي يستخلفه على تدريس أصحابه عند السفر، توفى سنة (470هـ/1077م)[90].

10- أبو القاسم أحمد بن إبراهيم المرسي المعروف بابن أبي ليلى، روى عن الإمام أبي الوليد الباجي، كان بصيراً بالفتوى والأحكام، تولى قضاء مدينة شِلْب غرب الأندلس، وظل بها قاضياً حتى وفاته سنة (514هـ/ 1120م)[91].

10- أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالله الخشني المرسي، سمع من أبي الوليد الباجي الفقه، وكان بصيراً بالفتوى والأحكام حافظاً للحديث عارفاً بالتفسير، وكان معظّماً عند أهل بلده بمرسية، توفى سنة (520هـ/ 1126م)[92].

---

(82) ابن بشكوال: الصلة، 1، ص74؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، 1، ص836 .
(83) عياض: الغنية، ص ص138-140؛ الضبي: بغية الملتمس، ص ص277-278.
(84) في هذه الواقعة انتصرت قوات الفونسو المحارب على قوات المسلمين المرابطة قرب سرقسطة سنة (514هـ)، وفيها استشهد الآلاف ومن بينهم العلماء والفقهاء = خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم بالأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م، ص262.
(85) ابن بشكوال: الصلة، 1، ص ص131-134؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ص104؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، 4، ص1255.
(86) ابن بشكوال: الصلة، 2، ص449؛ المقري: نفح الطيب، 2، ص85 .
(87) ابن بشكوال: الصلة، 1، ص78.
(88) سبق وأن تقدم التعريف به في معرض الحديث عن علم الحديث.
(89) ابن بشكوال: الصله، 1، ص 153.
(90) ابن بشكوال: نفسه، 1، ص248.
(91) الضبي: بغية الملتمس، ص170؛ ابن فرحون: الديباج، ص45.
(92) ابن بشكوال: الصلة، 1، ص224.

11- **أبو داوود سليمان بن أبي القاسم نجاح**، سكن دانية ولازم العلماء الكبار كأبي عمرو الداني، وابن عبد البر، والباجي، روى عنهم العلم، وتصدر للإقراء في مملكة دانية والجزائر الشرقية بعد وفاة شيخه أبي عمر الداني[93]، قال عنه ابن بشكوال: "كان ديناً فاضلاً ثقة فيما رواه"[94] توفى سنة (496هـ/1102م)[95].

12- **أبو الحسن طاهر بن مفوز بن أحمد بن مفوز المعافري الشاطي الحافظ**، سمع من أبي الوليد الباجي، وكان من أهل العلم والفضل، اشتهر برواية الحديث وحفظه، توفى سنة (484هـ/1091م)[96].

13- **أبو الحسن محمد بن واجب بن عمر القيسى البلنسي**، قرأ صحيح البخاري على أبي الوليد الباجي في بلنسية، توفى سنة (519 هـ/1125م)[97].

14- **أبوبكر محمد بن الوليد بن عمر بن خلف الفهري الطرطوشي**، لزم أبا الوليد الباجي بسرقسطة وأخذ عنه مسائل الخلاف وأثبت روايته في كتبه، كان يلقب بالأستاذ، توفى سنة (520هـ/1126م)[98].

15- **أبو علي منصور بن الخير بن يعقوب المالقي**، التقى بأبي الوليد الباجي بأشبيلية وجالسه وأخذ عنه، توفى سنة (520هـ/1126م)[99].

16- **أبو محمد عبدالله بن علي بن أحمد بن علي اللخمي الشاطبي**، حفيد الإمام أبي عمر بن عبد البر النمري، أخذ العلم عن جده ابن عبد البر، كما سمع من الإمام الباجي بشاطبة وروى عنه، توفى سنة (532هـ/1137م)[100].

- وفاته وثناء العلماء عليه:

بعد أن قضى الإمام أبو الوليد الباجي حياة جهادية من أجل تحصيل العلم ونشره تعليماً وتأليفاً ومناظرة، إضافة إلى جهوده الحثيثة لدعوة حكام الطوائف إلى الوحدة ونبذ الأحقاد والالتفاف حول إخوانهم المرابطين بالمغرب ضد عدوهم المشترك الفونسو السادس ملك قشتالة الذي كان يتربص بمسلمي الأندلس الدوائر؛ انتهى به المطاف أخيراً في مدينة المرَّية حيث أدركته منيته قبل أن يتم غرضه من تلك المساعي، ليلة الخميس في التاسع عشر من رجب سنة (474هـ/ 1081م)، ودفن يوم الخميس بعد صلاة العصر، وصلى عليه ابنه أبو القاسم[101].

أفل نجم الإمام الباجي أحد العلماء الكبار في الأندلس، فقد كان مثالاً جلياً للحركة العلمية المزدهرة في عصره، أثنى عليه أقرانه ومعاصروه ومن ترجم له، كلهم يشهد له بجلال القدر والعلم والفضل وصلاح الدين والخلق، فهذا ابن حزم الظاهري أشد خصومه يقول فيه: "لم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد

---

(93) ابن الجزري: طبقات القراء، 1، ص287.
(94) الصلة: 1، ص178.
(95) نفس المصدر والمكان.
(96) الحنبلي: شذرات الذهب، 3، ص371.
(97) ابن بشكوال: الصلة، 2، ص449؛ ابن الآبار: التكملة، 2، ص697.
(98) الأصبهاني: خريدة القصر وجريدة العصر، 2، ص290؛ ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 2، ص424؛ المقري: أزهار الرياض، 3، ص162.
(99) ابن بشكوال: الصلة، 2، ص481.
(100) ابن الآبار: التكملة، 2، ص812.
(101) عياض: ترتيب المدارك، 2، ص351؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، 2، ص409؛ الحميري: الروض المعطار، ص75؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، 3، ص1178؛ الكتبي: فوات الوفيات، 2، ص64؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 5، ص114؛ السيوطي: طبقات الحفاظ، ص441؛ المقري: نفح الطيب، 2، ص282؛ القنوجي: التاج المكلل، ص56؛ الكتاني: الرسالة المستطرفة، ص154؛ حسين مؤنس: شيوخ العصر في الأندلس، ص76.

القاضي عبد الوهاب مثل أبي الوليد الباجي"[102]، وقال عنه الوزير أبو محمد بن عبدالبر على لسان علي بن مجاهد العامري أمير دانية يخاطب المظفر أمير بطليوس: "أبو الوليد الباجي غذى نعمتك ونشأة دولتك، هو من آحاد عصره في علمه وأفراد دهره في فهمه ..."[103]، وأثنى عليه الحافظ الحميدي الميورقي بقوله: "حضرت مجالسه وكان جليلاً رفيع القدر والخطر، متكلم فقيه أديب شاعر"[104]، ووصفه تلميذه أبو علي الجياني الغساني الحافظ قائلاً: "وَجُلَّ قدره بالمشرق والأندلس، وسُمِعَ منه بالمشرق، وحاز الرئاسة بالأندلس، وسمع منه جماعة وتفقه عليه خلق كثير"[105]، وقال عنه تلميذه أبو علي بن سكرة الصدفي: "ما رأيت مثله وما رأيت على سمته وهيئته وتوقير مجلسه، وهو أحد أئمة المسلمين لا يسأل عنه مثله"[106]، ووصفه ابن خاقان فقال: "بدر العلوم اللائح وقطرها الغادي الرائح وثبيرها الذي لا يزحم ومنيرها الذي ينجلي به ليلها الأسحم، كان إمام الأندلس الذي تقتبس أنواره وتنتجع أنجاده وأغواره، قطف من العلم أزاهراً، وتفنن في اقتنائه، وثنى إليه عنان اعتنائه حتى غدا مملوء الوطاب، وعاد بلح طلبه إلى الأرطاب، فكر إلى الأندلس بحر لا تخاض لججه، وفجر لا يطمس منهجه، فتهادته الدول وتلقته الخيل والخول"[107]، وقال فيه القاضي عياض: "كان أبو الوليد رحمه الله فقيهاً نظاراً محققاً راوية محدثاً يفهم صنعة الحديث ورجاله، متكلماً أصولياً فصيحاً شاعراً حسن التأليف معين المعارف، له في هذه الأنواع تصانيف مشهورة جليلة، ولكن أبلغ ما كان فيها في اللغة والفقه"[108]، ووصفه العماد الأصبهاني فقال: "إمام في الأصول والفروع، كان فقيه الأندلس وإمامها الذي جلى بنور علمه ظلامها"[109]، وقال فيه الضبي: "فقيه محدث إمام متقدم مشهور، عالم متكلم، وله تواليف تدل على معرفته وسعة علمه"[110]، وأثنى عليه الحافظ الذهبي قائلاً: "الحافظ العلامة ذو الفنون"[111]، وجاء عن النباهي في مَعْرِض كلامه عن الباجي قوله: "والقاضي أبو الوليد هذا من القوم الذين سما ذكرهم بعد وفاتهم وانقضاء أمر حياتهم، فبهرت ولايتهم واشتهرت في الأفاق درايتهم"[112]، وقال الحافظ السيوطي: "الإمام أبو الوليد الباجي الفقيه الأصولي المتلكم المفسر الأديب الشاعر، برع في الحديث والتفسير والفقه والأصلين، ورجع إلى الأندلس بعد ثلاث عشرة سنة بعلوم كثيرة، وتصدر للإفادة وانتفع به جماعة كثيرة"[113]، وأشاد بذكره المقري فقال عنه: "ومما يفتخر به أنه روى عنه حافظا المغرب والمشرق أبوعمر بن عبد البر، والخطيب أبوبكر بن ثابت البغدادي، وناهيك بهما وهما أسن منه وأكبر"[114]، ووصفه محمد مخلوف: "بالفقيه الحافظ النظار العالم المتفنن المؤلف المتقن المتفق على جلالته علماً وفضلاً وديناً"[115] .

(102) ابن بسام: الذخيرة، القسم 2، 1، ص81؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ص121.
(103) ابن بسام: نفسه، 1، ص82.
(104) ابن ماكولا: الإكمال، 1، ص468.
(105) عياض: ترتيب المدارك، 2، ص348.
(106) عياض: نفسه، 2، ص349؛ اليافعي: مرآة الجنان، 3، ص108.
(107) قلائد العقبان، ص196،
(108) ترتيب المدارك، 2، ص348.
(109) خريدة القصر، 3، ص472.
(110) بغية الملتمس، ص303.
(111) تذكرة الحفاظ، 3، ص1179.
(112) المرتبة العليا، ص95.
(113) طبقات المفسرين، ص13.
(114) نفح الطيب، 2، ص277.
(115) شجرة النور الزكية، 1، ص120.

- **الخاتمة:**

خلاصة القول لقد ازدهرت الدراسات الفقهية في الأندلس إبان القرس الخامس الهجري ويتضح ذلك جليا من خلال المصنفات الفريدة التي صنّفت في مجال الفقه وأصوله مع تنوع مذاهبها الفقهية الأمر الذي يبدوا غريباً إذا قيس على ممالك الطوائف الأخرى، وذلك نتيجة التنوع المذهبي السني شرق الأندلس والتي أطلقها حكام دانية الأندلسية طيلة فترة حكمهم

لقد أسـهم الفقيه الباجى في نشـر المذهب المالكي تدريسـا وتأليفا وأراد أن يخطو بالفقه المالكي خطوات واسعة والذى اشتهر معظم رجاله في عصره بالتقليد، لذا رأيناه يبسط ويشرح وينقح ويختصر ليقدم مشروعه الفقهي المالكى الذى كان يفتقد إلى الاجتهاد وقتها، ولاستكمال مشروعه الفقهى في تحرير المذهب المالكي من التقليد رأيناه يجلس لتدريس الطلاب الذين تسـابقوا إليه من شـرق البلاد الإسـلامية وغربها وتنافسـوا في الأخذ عنه، فتوافدوا عليه من أبعد الأقاليم فضـلاً عن أدناها داخل بلده وخارجها، كما أن تنقلاته المتعددة بين حواضـر الأندلس سـهلت للعديد من طلاب العلم الأخذ والرواية عنه، فتخرج على يديه نخبة من العلماء والحفاظ في الفقه والأصـول والحديث والعقيدة والتفسـير ممن انتفعوا بعلمه وتأثروا به ،ولعل آثاره الفقهية التي تمتلئ بها المكتبات الخاصـة والعامة في شـرق بلادنا الإسـلامية وغربها خير شـاهد على جهود الإمام الباجي في العناية بالفقه المالكي شرحاً واختصـاراً تدريساً وتعليماً فجزاه الله خير الجزاء على جهوده العظيمة في خدمة السنة والدفاع عنها ونشرها وبيانها الناس فمازالت كتبه رحمه الله منهل عذب لكل دارس للفقه المالكي وأصوله إلى وقتنا الحاضر.